مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد 1 المجلد 43 السنة 2018 م

# المُناسَبةُ وعلاقتُها بالتّماسك النّصي
# بين النظرية التطبيق

أ.م.د. خليل عبد المعطي المايع
جامعة البصرة –كلية الآداب
قسم اللغة العربية

**خلاصة البحث :**

المناسبة لها دور كبير في تحديد المعنى المقصود ، فبإمكان المحلل التنبؤ بما يقال من خلال معرفة الظروف المحيطة بالنّص ، والمقام الذي ورد فيه النّص ، فكل نصٍّ قابل للتأويل فهو نصٌّ متسق ومترابط ، ونسبة التأويل والفهم تتحد بنسبة التماسك ، والذي أريد تتبُّعه هنا دورالمناسبة في بناء التماسك النّصي ؛ لأنّ معرفة مقصود السورة لا يتم إلاّ بمعرفة جميع جملها، وتدبر سياقها من بدايته إلى منتهاه .

لقد راعى الخطاب القرآني تفاوت درجات المتلقين أو المخاطبين في الفهِّم فكان خطابه مؤسساً على جملة من المقاصد التي تُحدد الهدف والغاية ، وأثبت انّ علم المناسبات القرآنية هو التَرجمان الحقيقي للسياق القرآني ، وارتباطه به ارتباط الرأس من الجسد ، فلا يكاد ينفك عنه بحال ، وأيضاً لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف وإنّما يراد المعنى .

**مقدمة :**

إنّ المناسبة لها دور كبير في تحديد المعنى المقصود ، فبإمكان المحلل التنبؤ بما يقال من خلال معرفة الظروف المحيطة بالنّص ، والمقام الذي ورد فيه النّص ، فكل نصٍّ قابل للتأويل فهو نصٌّ متسق ومترابط ، ونسبة التأويل والفهم تتحد بنسبة الترابط والتماسك . وهذا التحديد يعيد المرء إلى مفهومين لسانيين مهمين هما : العلاقة والسياق ، وهما يشكلان القاعدة البنائية الأساسية للنّص أيّاً كان نوعه ؛ كونه يُعنى بكيفية ترابط مكونات البنية السطحية نحوياً ، فضلاً عن اسهاماته الدِّلالية المباشرة في تنظيم عالم النّص .

والذي أريد تتبُّعه هنا دورالمناسبة في بناء التماسك النّصي ؛ لأنّ معرفة مقصود السورة لا يتم إلاّ بمعرفة جميع جملها ، وتدبر سياقها من بدايته إلى منتهاه ، فيتوقف معرفة المناسبات على معرفة السياق ، والسياق يكون خادماً لعلم المناسبات في إبراز علل الترتيب التي يراها المُفسر ، وأسباب تقديم بعضها على بعض ، فمن هذه الجهة يكون السياق خادماً لعلم المناسبات ، ومن جهة أخرى يكون علم المناسبات خادماً للسياق ؛ وذلك من خلال الكشف عن أوجه المناسبة بما يكون عوناً للمفسر في إيضاح كلامه ، فيكون كل من العِلمين خادماً للآخر ، وبذلك تكون نصوصاً متماسكة ، ذات رسالة واضحة يتقبَّلها المتلقي.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
Journal of Basra Research for Human Sciences

**مفهوم المناسبة وضروبها :**

إنّ ما يعرفه علم اللغ.ة اليوم باسم التماسك النَّصى هو ما درس.هـ اللغويون والمفسرون الأوائل تحت عنوان علم ( المناسبة ) ( [1] ) ، ويعرف : (( جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المُحكم المتلائم الأجزاء )) ( [2] ) ، وهذا ما أكده الزركشي نقلاً عن الرازي (( فقد قل اعتناء المفسرين بهذا النّوع لدقته ، وممّن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازى ، وقال فى تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط )) ( [3] ) .

فهي في اصطلاح اللغويين تعني : المقاربة ، أو المشاكلة ، أو الارتباط ، ويكون ذلك بين الألفاظ من حيث البنية أو الدّلالة ، أو بين المعاني الكلية الحاصلة من التأليف ، أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل أو المعنى ، وبتعبير آخر هي وضع الكلام موضعه الذي يليق به حتى يتمّ له الحسن والبيان ، وهو ما يشير إليه القرطاجني بقوله : (( وإنّما الوضع المؤثر وضع الشيء الموضع اللائق به ، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقاً ومقترناً بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك . والوضع الذي لا يؤثر يكون بالتباين بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقاً ومقترناً بما يناقضه ويدافعه وينافره )) ( [4]

فـ ( المناسبة ) إذن تحقّق الربط بين الآية وما تسبقها من آيات ومن ثم فهى تحقق التماسك بين هذه الآيات ، فضلاً عن أنّها تسعى إلى الربط الدّلالي بين الآيات المتجاورة أو المتباعدة ، وذلك لمرجعية سابقة يعود إليها المُفسر ليبني عليها المناسبات بين الآيات .

إنّ الذى نشير إليه هنا هو ما يُعرف فى الدراسات اللغوية بمفهوم " الاتساق أو التماسك " Cohesion قد عَرَفَهُ القدماء من اللغويين والمفسرين والبلاغيين وعرفوا غيره من المصطلحات التى تناظره فى المعنى مثل : التلاحم والائتلاف والملاءمة والمناسبة والتناسب والمجانسة والالتحام والمطابقة والمشاكلة . وإنّ تخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته ( [5] ) . وفى سياق التعليق على بعض أبيات من الشعر يقول أبو هلال العسكري : (( وينبغى أن تجعل كلام.ك مشتبهاً أول.هـ بآخره ، ومطابقاً هادي.هـ لعجزه ، ولا تتخ.الف أطراف.هـ ، ولا تتنافر أطراره ، وتكون الكلم.ة منه موضوع.ة مع أختها ... فإن تنافر الألفلظ من أكبر عيوب الكلام )) ( [6] ) . وهو ما عَبّر عنه أسامة بن منقذ بقوله : (( خير الكلام المحبوك المسبوك الذى يأخذ بعضه برقاب بعض )) ( [7] ) ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سبباً من تلك ، ذكر عبد القاهر الجرجاني فى أسرار البلاغة قول.هـ : (( الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصًّاً من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب )) ( [8] ) .

فمعرفة مقصود السورة لا يتم إلاّ بمعرفة جميع جملها ، وتدبر سياقها من بدايته إلى منتهاه ، (( فيتوقف معرفة المناسبات على معرفة السياق ، والسياق يكون خادماً لعلم المناسبات في إبراز علل الترتيب التي يراها المُفسر ، وأسباب تقديم بعضها على بعض ، فمن هذه الجهة يكون السياق خادماً لعلم المناسبات ، ومن جهة أخرى يكون علم المناسبات خادماً للسياق ؛ وذلك من خلال الكشف عن أوجه المناسبة بما يكون عوناً للمفسر في إيضاح كلامه ، فيكون كل من العِلمين خادماً للآخر )) ( [9] ) .

وقد يسأل سائل : (( ما موقف علماء النّصية من قضية المناسبة ودورها في تحقيق التماسك النّصي ؟ . والأجابة : أنَّهم لم يُشيروا إليها على أنّها وسيلة من وسائل التماسك النّصي .... ولكننا هنا نُضيف وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي : شكلياً ودلالياً )) ([10] ) .

وجعل **ابن أبي الإصبع** المناسبة على ضربين : مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى الألفاظ . فمناسبة المعانى هى : أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقوله تعالى : { **لا تُدْرِكه الأبْصَارُ وَهو يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهو اللطِيفُ الخَبِير** } (الأنعام آية:103) فإنّه سبحانه لما قدَّم نفى إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ( وَهو اللطِيفُ الخَبِير) خطاباً للسامع بما يفهم ؛ إذ معترف العادة أنَّ كل لطيف لا تدركه الأبصار ، ولما قال : ( وَهو يُدْرِكُ الأبْصَارَ ) عطف على ذلك قوله : " الخَبِير" لأنّ كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء ( [11] ) .

ومن أمثلة مناسبة المعانى قوله { **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** } ( الأنعام آية : 128) فالصفتان ( **حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ) (( مناسبتان لهذه الآية ، لأنَّ تخلد هؤلاء الكفرة في النار فعل صادر عن حكم وعلم بمواقع الأشياء )) ( [12] ) ، كما إنَّ جملة ( **إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ) وقعت كالجواب الشافي عمّا قبلها ؛ فلماذا يرفع بعضّ الناس من دون بعضٍ ؟ فجاء الجواب إنّه يعلم مستحق ذلك ، ومقدار استحقاقه ، ويخلق ذلك بحسب تعلق علمه . فهو حكيم بمعنى محكِم ؛ أي : متقِن للخلق والتقدير( [13]) هذا التناسب أفاد ربط أواخر الآية بما قبلها، مما نتج عنه ربطٌ معنويٌّ دلاليّ .

وأمّا المناسبة اللفظية فهي توخي الإتيان بكلمات مُتَزِنات ، وهي على ضربين : (( تامة وغير تامة ؛ فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة وأخرى ليست بمقفات ... ومن الشواهد التامة قول الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : " أعيذُكُما بكلمات الله التَّامة ، من كلِّ شيطانٍ وهَامّة ، ومن كلِّ عَيْن لامة " فقال [ عليه الصلاة السلام ] لآمّة ولم يقل ملمة ، وهي القياس ، لمكان المناسبة اللفظية التَّامة ... ومن أمثلة المناسبة الناقصة ( غير التامة ) قوله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) " إنّ أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً المُوطئون أكنافاً " فالتناسب بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفية )) ([14]) .

فالمناسبة إذن على حدِّ قول **د . صبحي إبراهيم الفقي** (( من أهم العوامل التي تُسهم في تحقيق التماسك النّصي من ناحية ، ومن أهم الأسباب التي تبين إدراك علمائنا القدماء للتحليل النّصي بصورة تقترب كثيراً من التحليل المعاصر )) ( [15] ) ، ويشترط في حُسن ارتباط الكلام في المناسبة أن يقع في أمر متّحد مرتبطٍ أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مُختلفة لم يُشترط فيه ارتباطُ أحدهما بالآخر ( 16) ، وهذا يظهر في افتتاح كلِّ سُوَرِه لما ختم به السّورة قبلها ، أو يَخفى تارة أخرى ، (( كافتتاح سورة الأنعام ( بالحمد ) بقوله [ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ] ، فإنّه مناسب لاختتام سورة المائدة من فصل القضاء ؛ ... وكافتتاح سورة البقرة بقوله { **الم** (1) **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** (2) } إشارة إلى ( الصِّراط ) في قوله : {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** } [ الفاتحة آية : 6] ؛ كأنّهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصِّراطُ الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب)) ( [17] ) . ومن وجوه التناسب بين السورتين ، أنّ سورة آل عمران خُتمت الأمر بالتقوى ، في قوله تعالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا**

**وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } ( آل عمران: 200) وافتتحت سورة النِّساء بالأمر بها ، قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** } (النّساء :1) ... وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور .

**أولاً : المناسبة وأثرها في تماسك النّص :**

تسعى الدّراسة في هذا المبحث إلى أهمية مفهوم المناسبة وأثرها في تماسك النّص بين النظرية والتطبيق ، ولا سيما في النّصوص القرآنية وإظهار أنواع المناسبة وأحكامها على ضوء التحليل النّصي لبعض الآيات القرآنية التي تتعلق بالمناسبة تحليلاً ووصفاً حتى يُبرز هذا البحث لوناً جديداً في الدراسة.

وإنّ من الخطأ أن نظن أنّه لكي نفهم مضمون نصّ لغوي ، أننا نعتمد على الكلمات والجمل والعبارات التى صيغ منها النّص فقط ؛ بل نحتاج لكثير من الم وضوعات لفهم ذلك المضمون فهماً صحيحاً . فالمناسبة هي جزء من تلك الموضوعات التي تحاكي النّص وتُفسره ، وإنّ بابها بابٌ واسعٌ تُدرس تحته القضايا الآتية ([18]) :

- مناسبة اسم ( عنوان ) السورة لمضمونها .
- مناسبة افتتاح السورة لمضمونها .
- مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها .
- مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها .
- مناسبة خاتمة السورة لافتتاح ما بعدها .
- مناسبة افتتاح السورة لافتتاح ما قبلها وما بعدها .
- مناسبة خاتمة السورة لخاتمة ما قبلها وما بعدها .
- مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها وما بعدها ..
- مناسبة ترتيب آيات السورة .
- مناسبة فواصل الآي لآياتها .

هذه القضايا تمثل جوهر التماسك النّصى فى القرآن الكريم ، وإذا كانت (( مهمة علم النص تتمثل فى وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة )) ( [19] ) ، فإنَّ كل أنواع المناسبات السابقة وأثرها تشرح العلاقات الداخلية والخارجية للنّصوص القرآنية . ولذلك جعلت " المناسبة " ركيزة لا يستغنى عنها في تماسك النّص كما ذهب إلى ذلك علماء الدراسات القرآنية . لأنّها تحقّق الرّبط أو الاتّساق بين الآية وما تسبقها من آيات ، ومن ثَمَّ فهى تحقق التّماسك بين هذه الآيات . وبهذا المفهوم تحقق استمرارية عبر الكلمات والعبارات والجمل من خلال المعنى الرابط بينها ، ومن ثمَّ تظهر أهمية المناسبة في التماسك النّصي .

ويمكن تقسيم هذه الأنواع كما يأتي ([20]) .

**أ - المُناسبة المتعلقة بالدّلالة الحاصلة من النَّص :**

تنقسم هذه المُناسبة على قسمين :

١ -المناسبة بين السُّور .

٢ -المناسبة بين الآيات .

فأمَّا **المناسبة بين السُّور** – على سبيل المثال – ما ذكره **بُرهان الدِّين البقاعي** من مناسبة سورة البقرة لفاتحة الكتاب . فيقول : (( وأمّا مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو أنّه لما أخبره سبحانه وتعالى أنّ عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين أرشدهم في أوّل التي تليها إلى أنّ الهدى المسؤول إنّما هو في هذا الكتاب ، وبَيّن لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثّاً على التخلق بها والممنوعين منها زجراً عن قربها . فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة ، لأنّها سيقت لنفي الرَّيب عن هذا الكتاب ، ولأنَّه هدى للمتقين ، ولوصف المتقين وما يجازَوْن به بما في الآيات الثلاث ، ولوصف الكافرين الذين لا يؤمنون لما وقع من الختم على حواسهم والختم لعقابهم ليُعلم أنَّ ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيُلزَم ، وما اتصف به مَنْ عَدَاهم هو طريق الهالكين فيُترك ، وفي الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم ولا الضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف ... وعليه يكون تصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف : مهتدين ومعاندين وضالين ، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة : متقين وكافرين مصارحين وهم المعاندون وضالين وهم المنافقون ، وإجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الأساليب وهو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل)) ([21]) . وبهذا تتضح العلاقة الدِّلالية بين أجزاء النّص القرآني من خلال سُوره وكذلك آياته .

يذهب الزركشي إلى أنّ المُناسبة بين فاتحة سورة ما وخاتمة السُّورة التي قبلها ( بين سورة النّساء والمائدة ) أسلوب معتمد في القرآن ، ونُمثل لذلك بقوله : (( لمّا ختم النِّساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** } [ ويدرج في نفس السّياق مجموعة من السُّور بينها هذا النّوع من المناسبة مثل ] افتتاح سورة الأنعام ( بالحمد ) بقوله { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** } ، فإنّه مناسب لختتام سورة المائدة من فصل القضاء ... وكافتتاح سورة البقرة بقوله { **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** } إشارة إلى ( الصِّراط ) في قوله : { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** }[ الفاتحة آية :6 ] )) ([22]) .

إنّ البحث عن المناسبة بين السُّور يعني البحث عن الرابط بين المتناسبين ، لأنّ الآيات المتجاورة توضع بحيث تكمل كل واحدة منها الأخرى أو ما قبلها ، أو مستقلة عنها ([23]) ، أي أننا نقوم بالبحث عن الرابط بين المتناسبين من الآيات في النّص القرآني ، ومن ثمَّ نرجع إلى علاقة المرجعية التي تكون إمّا لمتقدّم أو مُتأخر وإذا تحققت هذه المرجعية تحقق التماسك بينهما . لأنّ الغاية من البحث عن المناسبة على حدِّ الزركشي هي (( جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوي بذلك الارتباط ، ويصير التأليفُ حاله حال البناء المحكم المُتلائم الأجزاء )) ([24]) .

إذن فالقرآن الكريم لشدة تماسكه عُدّ كالكلمة الواحدة ، على الرغم من اختلاف السور ، فمنها المدنية التي تدور حول موضوع العبادات والتشريع في حين أنّ السور المكية تركز على حقيقة الوحدانية والتوحيد ، وهذه الموضوعات على الرغم من اختلاف أسلوبها وتفاوت فترات نزولها إلاّ أنّها تتميّز بالتماسك الموضوعي ، لأنّها تدور حول موضوع عام موحد وهو عبادة الله التي خلق العبد من أجلها . وهذا ما تنشده اللسانيات النصية ونظرياتها .

**- المناسبة بين الآيات :**

وأمّا المناسبة بين الآيات ، أو مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها وما بعدها ، أو مناسبة السورة بعضها لبعض ، فإنّها تقوم على الربط بين آيات السورة المختلفة وتحقيق رؤى التماسك بينها ، وهذا تبين من خلال الوسائل النّصية ( الإحالة بأنواعها ، والحذف ، والتوابع ، والتكرار ، والمصاحبة المعجمية ) إلى جانب المناسبة . والرابط الذي نُرجع إليه وجه المناسبة بين الآيات هو (( رابط عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمُسبب والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه ... [ وهذا كله ] يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد مرتبطٍ أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباطُ أحدهما بالآخر )) ([25]) .

فالرابط إذن هو رابط إمّا ظاهر أو غير ظاهر ؛ لأنّ ذكر (( الآية بعد الأخرى ؛ إمّا أن يظهر الارتباط بينهما لتعلُّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح ... وإمّا ألاّ يظهر الارتباط ؛ بل يظهر أن كلّ جملة مستقلة غير الأخرى ، وأنّها خلاف النوع المبدوء به ؛ فإمّا أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا ، [ فإن كانت ] معطوفة فلا بد أن تكون بينهما جهة جامعة ... كقوله تعالى { **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** } ( البقرة آية: 245) ، وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين )) ([26]) . وهذا يتحقق بوجود حرف العطف .

وأما يكون غير ظاهر فهو أن يقوم على معنى تام ومكتمل دون مشاركة الآيات المجاورة للآية في بيان معناها ، أي أنّها تبين معناها باستقلالها عن الآيات المجاورة – لا أنّها منفصلة عنها – بل هي متصلة العُرى ، ومثال ذلك آية الكرسي قوله تعالى { **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** } ( البقرة آية : 255 ) ، إذ انطوت هذه الآية على أهم المسائل المتعلقة بالذات الإلهية . وذلك من خلال سياقاتها ، كما اختصت بجانب المناسبة والاتساق بين مقاطعها الجُملية ، يقول محيي الدين درويش : ((فقد تضمنت آية الكرسي من الإيجاز [والحذف ] ... وإنّ البيان اتحد بالمبين في تصوير الملك الحقيقي الذي لا ينازع فيه بأرشق عبارة وأدق وصف ، وفيها ما يسمى بالفصل في علم النحو والمعاني ، وهو حذف العاطف للدِّلالة على أنّ كل صفة من صفات هذا الملك العظيم مستقلة بنفسها ، وذلك على النحو الآتي :

آ- الجملة الأولى : « الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » ..

ب- الجملة الثانية : « له ما في السموات وما في الأرض » ..

ج- الجملة الثالثة : « من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه » ..

د- الجملة الرابعة : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء » ..

هـ- الجملة الخامسة : « وسع كرسيه السموات والأرض » الى آخر الآية .. )) ([27]) .

القسم الثاني : ألا تكون معطوفة فلا بد من دعام ة تؤذن باتصال الكلام ؛ وه ي قرائن معنوية مؤذنة بالربط ، والأول مزج لفظي ، وهذا مزج معنوى تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب ([28]) :

**أحدها : التنظير** ؛ أي إلحاق النظير بالنظير ، ومن أمثلته قوله تعالى { **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** } ( الأنفال آية: 5) عقب قوله : { **أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** } ( الأنفال آية: 4) فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون؛ وذلك أنّهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال ، وحاجّوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجادَلُوه ؛ فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النفل ، فأنزل الله هذه الآية ، وأنفذ أمره بها ، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شئ ما ، بعد أن كانوا مؤمنين ووصف المؤمنين ؛ ثم قال : { **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون** } ، يريد أن كراهيتهم لما فعلتَه من الغنائم ككراهتهم للخروج معك ، وقيل : معناه ( **أولئك هم المؤمنون حقاً** ) ؛ (**كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** ) وقيل : الكاف صفة لفعل مضمر وتأويله : افعل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر ، وإن كره القوم ذلك ، ونظيره قوله تعالى : { **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم**} ( البقرة آية : 151) معناه : كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم فكذلك أتم نعمتي عليكم ؛ فشبه كراهتهم ما جرى من أمر الأنفال وقسمتها بالكراهة في مخرجه من بيته. وكل ما لا يتم الكلام إلاّ به من صفة وصلة فهو من الكلام نفسه ([29] ) .

ومن هذا النوع ما ذكره أبو حيان الأندلسي في مناسبة هذه الآية لما قبلها ، في قوله تعالى { **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ... } ( البقرة : 197) ، بقوله : (( لما أمر الله تعالى بإتمام الحج والعمرة ، وكانت العمرة لا وقت لها معلوماً . بين أن الحج له وقت معلوم ، فهذه مناسبة هذه الآية لما قبلها )) ([30] ) .

**الثاني : المضادة** ؛ ومن أمثلته قولهُ تعالى في سورة البقرة { **إن الذين كفروا سواء عليهم ...**} [الآية :6 ] (( فإنّه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم ، وأنّ من شأنه كيت وكيت ، وأنّه لا يهد ي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت . فرجع إلى الحديث عن المؤمنين ، فلما أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفار ؛ فبينهما جامع وهميّ بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل :

**( وبِضِدِّها تتبيَّنُ الأشيَاءُ )**

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأنّ كونَه حديثاً عن المؤمنين ، بالعَرَض لا بالذّات ، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنّما هو الحديث عن الكتاب ، لأنَّه مفتَتح القول . قلنا : لا يشترط في الجامع ذلك ، بل يكفي التعلق على أي وجه كان ، ويكفي في وجه الرّبط ما ذكرنا ، لأنّ القصد تأكيدُ أمرِ القرآن والعمل به ، والحث على الإيمان به ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : { **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** } [ البقرة آية : 23 ] فرجع إلى الأول )) ([31] ) .

إذن المناسبة بين الآيات تحقق الربط بين الآية وما سبقها ، لذا فهي تعبّر عن مفهوم التماسك النّصي وتعمل بذلك على تحقيقه .

**ب- المُناسبة المتعلقة بالألفاظ :**

يتأنق القرآن الكريم في اختيار ألفاظه ، فيضع كل كلمة في الموضع اللائق بها ، فتأتي مستقرة في مكانها

،غير قلقة متلائمة ومتماسكة مع ما يجاورها من ألفاظ ، ومناسبة للسّياق الذي ترد فيه ( [32]) . ومن خلال هذا الاختيار الدقيق للألفاظ ، يقول **مصطفى صادق الرافعي** : النظم القرآنى قائم على اختيار الألفاظ التى تناسب المقام الذى تستعمل فيه ، فهو يستعمل من الألفاظ أمسها رحماً بالمعنى وأفصحها فى الدّلالة عليه ، وأبلغها فى التصوير ، وأحسنها فى النسق ، ويطرد ذلك فى جملة القرآن على اتساعه وما تضمن من أنواع الدّلالات ووجوه التأويل ( [33] ) .

من أمثلة ذلك قوله تعالى { **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** } ( البقرة آية :34 ) يتماسك نص هذه القصة دلالياً وشكلياً ، الأول بتوحد موضوعها ، أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم ( عليه السلام ) ، ثم سجود الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس الذي أبى السجود وفسق عن أمر الله . هذه هي القصة بإيجاز ، وقد فصلتها سور أخرى في آيات كثيرة ، كل سورة تفصل فيها القصة بالقدر الذي يتناسب مع غرض السورة ومناسبتها .

فيمكننا من أجل توضيح الدور الذي يقوم به التوظيف السياقي في النص القرآني ، أن نعتمد على المحاولات التي بيَّنها المفسرون ووضحوها بخصوص سياق السورة المتحقق بالمُناسبة المتعلقة بالألفاظ ، فمن ذلك سورة التوبة من أولها إلى آخرها كلها بضمها وبجمع آياتها سياق واحد ، قال محمد رشيد رضا (( أما التناسب بين الآية الأولى وبين ما بعدها [ من الآيات ] ، فإنّه أظهر من التناسب بين سائر السور بعضها مع بعض ، فهي كالمتممة [ لنص واحد ] في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه ، والسنن الإلهية والتشريع – وجله في أحكام القتال ، وما يتعلق به من الاستعداد له ، وأسباب النصر فيه ، وغير ذلك من الأمور الروحية والمالية ، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضي له ، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، والكافرين بعضهم مع بعض ، كذا أحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب ، فما بدأ به في الأولى أتم في الثانية ... وهذا الذي ذكرناه مؤيداً من جهة المعاني )) ( [34] ) ، إنّها نص واحد .

وكذلك يبدو أنّ إخراج غير الموثوق بإخلاصهم من الجماعة المسلمة المؤمنة ، كالبخلاء بالمال والجبناء ، وفضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم ، ومواقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها ، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف ، هو تطهير وتنقية الفئة أو الجماعة المسلمة للاستعداد لمعركة تبوك لأنّ المعركة تمثل تحولاً كبيراً إذ هي أول معركة مع الروم خارج الجزيرة العربية ، أي أول حرب بدأت مع القوى الخارجية العظمى وهم الروم ، وبهذا أشار سيد قطب بقوله : (( من الأسلوب القرآني في [هذه السورة ] أنّه مواجهة لما كان في النفوس يومذاك من تهيب وتردد في مواجهة أهل الكتاب عامة – أو الغالبية العظمى منهم – بهذا اللون من العلاقات التي تنص عليها الآية الأولى في المقطع ... وحقيقة إن المقصود – كان – بالمواجهة ابتداء هم الروم وحلفاؤهم من نصارى العرب في الشام وما وراءها وهذا وحده كان يكفي للتردد والتهيب لما كان للروم من بأس وسمعة تاريخية بين أهل الجزيرة..)) ( [35]) وثمة جملة تمثل مركزاً للسياق هي قوله{ **فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ** } (التوبة آية : 83) وبهذا الرابط السياقي وغيره يجعل السورة نصاً متماسكاً

واحداً .

ومن أمثلة هذا النوع سورة المائدة ، إذ يرى الباحث أنّ المائدة في سياقاتها كلها تدور حول العقود والعهود والمواثيق في شتى صورها وتنوع دلالاتها وذلك في معرفة العبادات والمعاملات الدولية فيما بين المسلمين وغير المسلمين وبيان الحدود والعقوبات وتصحيح العقيدة وتنقيتها في تناسق وانتظام ، فكان الخطاب منذ الوهلة الأولى بمخاطبة الذين آمنوا أن يوفوا بالعقود على اختلاف أنواعها وأشكالها الذي يوجب الالتزام بقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ** } ( المائدة آية : 1- 2 ) ، وهذا يستمر في تناسق واتساق في أسلوب الآيات كلها حتى مع حوار الله تعالى مع عيسى ( عليه السلام ) يوم القيامة الوارد في نهاية السورة الكريمة بقوله تعالى { **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } ، وبهذا أشار أبو حيان الأندلسي بقوله : (( فبين تعالى في هذه السورة أحكاماً كثيرة هي تفصيل لذلك المجمل ، وقد تضمنت هذه السورة ثمانية عشر فريضة لم يبينها في غيرها )) ( [36] ) .

فكانت السمة الواضحة في السورة منذ بدايتها هي الأوامر والنواهي وذلك لأنّ السورة احتوت في طياتها أحكاماً لم تكن في غيرها من السور فدعت الحاجة إلى أن تبنى في مجمل آياتها على صيغ الأمر والنهي .

كذلك لما كانت الآيات في مجملها عهوداً ومواثيق في النواهي والأوامر كان الخطاب دائماً للذين آمنوا لأنّه إلزام والتزام على سبيل الأحكام ، لأنّ الإيمان عبارة عن معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأحكامه وكان من جملة أحكامه أنّه يجب على الخلق جميعهم إظهار الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه وأوامره ونواهيه ولذلك اختتمت السورة به ، فكانت نصاً واحداً اشتملت على الأحكام من المبدأ إلى المنتهى ، لأنّ (( مفتتح السورة ، كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية ، فيشرع العبد في العبودية وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية ، فالأول هو الشريعة وهو البداية ، والآخر هو الحقيقة وهو النهاية فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر الله عز وجل وكبريائه تعالى وعزته وقهره وعلوه ، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم )) ( [37] ) ، فكان العقد والميثاق هما من الأمور المعتبرة في ماهية تحقيق الإيمان . فلهذا كان الخطاب للذين آمنوا .... في جميع الآيات التي ذكرت فيها الأحكام .

ويبدو أيضاً أنّ آياتها متصلة اتصالاً وثيقاً بما قبلها وكذلك بما بعدها وهذا ما أوضحه السياق وبيّنه ، كما حدد النص القرآني منهجاً متكاملاً في كل سورة من سوره لتحقيق ذلك الهدف ففي سورة المائدة حدد منهجية العهود والعقود والمواثيق والالتزام بالأحكام من خلال الأوامر والنواهي حتى لا يقع العقل الإنساني وحواسه فريسة النظرة السطحية التي تبعد العلل ولا تربط الأسباب بالمسببات ومن ثمَّ تقود الإنسان إلى الضياع أو التأخر .

ومن الأمثلة أيضاً سورة النساء ، إذ إنّ الفصول الأولى من السورة من أنكحة ومواريث وغيرهما مترابطة ومنسجمة مما تشكل السورة في أغلب آياتها أو نصوصها وحدة موضوعية . فالآية الأولى في السورة بمثابة فاتحة استهلال لما تضمنته من النصوص أو الفصول أو مقاطع ، قال تعالى { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** } ( النساء آية : 1) ، وروح مقاطع الآيات يلهم أنّها وحدة تشريعية (( فقد تضمنت سورة النساء عقود الإنكاح والصداق والوصية والدَّين والميراث ، وكلها أحكام لعقود ، فكأن الحق سبحانه وتعالى من بعد سورة النساء يقول لنا : لقد عرفتم ما في سورة النساء من عقود ، فحافظوا عليها وأوفوا بها .

ونلحظ أنّ سورة البقرة جاءت بعدها سورة آل عمران ، وفي كلتيهما حديث عن الماديين من اليهود ، وسورة النساء والمائدة تواجه أيضاً المجتمع المدني بالمدينة بعد أن كان القرآن بمكة يواجه مسألة تربية وغرس العقيدة الإلهية الواحدة والنبوات . وقد خدمت سورة البقرة وسورة آل عمران مسألة العقيدة المنهجية والأنبياء ، وسورة النساء تتضمن حسم العقيدة الحكمية )) ( [38] ) . وقد أشار لهذا المعنى **علي بن إبراهيم القُمي** عند ذكر قوله تعالى من أواخر سورة النساء ( **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ** ... (176) ) أنّ هذه الآية وقوله في بداية السورة ( **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** ) (آية : 3 ) إنهما آية واحدة ، وذلك لوجود القوة الاتساقية بين آيات السورة ، جاء في تفسيره (( فنصف الآية في أول السورة ، ونصفها على رأس المئة وعشرين آية )) ( [39] ) .

وبهذا اشتملت أغلب السورة على نصوص كثيرة من المبدأ إلى المنتهى على أحكام النساء ، فقال تعالى بعد الآية الأولى { **فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النسآء مثنى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ** } ( النساء آية : 3 ) . وقوله : { **مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النسآء** } أي غير المحرمات فى قوله تعالى : { **وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النسآء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَآءَ سَبِيلاً** } [ النساء : 22 ] وفي قوله سبحانه : { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخ وَبَنَاتُ الأخت وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرضاعة وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الذين مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأختين إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً والمحصنات مِنَ النسآء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ الله عَلَيْكُمْ** } [ النساء : 23 ] إذن فما طاب لكم من النساء غير المحرمات هن اللاتي يحللن للرجل ، وأخيراً تختم السورة التي بدأت بعلاقات الأسرة ، وتكافلها الاجتماعي وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية في ثناياها.. تختم بتكملة أحكام الكلالة بما ابتدأت به من مواريث أوتركة بقوله تعالى { وَ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** } ( النساء آية : 176 ) ، هذه الآية مكملة لآيات المواريث التي وردت فى أوائل هذه السورة . إذ (( اختتمت سورة النساء بذكر الأموال وأحكام

الميراث ، كما افتتحت بذلك ، لتحصل المشاكلة والاتساق بين المبدأ والختام . وتتلخص آيات المواريث في السورة بثلاثة :

١ –الأولى في بيان إرث الأصول والفروع .

٢ –الثانية في بيان إرث الزوجين والإخوة والأخوات من الأم .

٣ –الثالثة وهي هذه الآية في إرث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب . وأما ( أولو الأرحام ) فسيأتي حكمهم في سورة الأنفال )) ( [40] ) .

أما الفخر الرازي فيربط سياق هذه الآيات بما قبلها وبالعكس على سبيل المشاكلة بقوله (( إنّه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال والأنكحة وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول ، ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين )) ( [41] ) .

فاختيار الألفاظ والعبارات في القصة وغيرها في القرآن يكون مقصوراً على السمة التعبيرية للسياق في تلك الصورة في أدق معانيها وأكمل صورها . يقول سيّد قطب في تكرار القصة في القرآن وطريقة الأداء في السياق (( إن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد انه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق ، وطريقة الأداء في السياق وإنّه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار )) ([42] ) وتضيف جديداً يُسهم في كمال الموضوع .

فلابد إذن في نظم القرآن من تخير الألفاظ التي تتلاءم مع الموضع الذي تأتي فيه ، فالقرآن يختار ألفاظه بعناية فائقة اختياراً تتنوع من خلاله المُناسبة المتعلقة باللفظ ، وتتمثل هذه الأنواع فيما يأتي ([43]):

١ –المناسبة الصوتية .

٢ –المناسبة اللفظية .

٣ –المناسبة السياقية .

**جـ – مناسبة فواصل الآي لآياتها :**

**الفاصلة** يعرفها الزركشي في البرهان بقوله : (( هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع )) ([44] ) وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : الفواصل حروفٌ متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعانى ، وفرَّق أبو عمرو الداني ( ت 444هـ ) بين الفواصل ورءوس الآي ، فقال : الفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأسَ آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل تكون رؤوس آيات وغيرها ؛ فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ؛ فالفاصلة تعم النوعين ، وتُسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أنّ آخر الآية فَصَلَ بينها وبين ما بعدها ، ولم يسمُّوها أسجاعاً (45 ) . وكذا لا يجوز تسميتها قوافي ، لأنّ الله تعالى لمّا سلب عن النص القرآني اسم الشعر ، وَجّب سلب القافية عنه أيضاً .

وإنّ الفاصلة القرآنية تحمل دلالتين فى آن واحد ؛ دلالة نابعة من الصوت الموسيقي المتكرر والأخرى من المعنى العام للآية حيث تأتي الفاصلة فى الآية القرآنية منسجمة مع المعنى الذى تتضمنه الآية ومتممة له وهو ما يترتب عليه التماسك الدلالي والتكامل فى المعنى بين أول الآية وآخرها ([46] ) ، وهو ما أشار إليه الزركشي بقوله : (( اعلم أنّ من المواضع التى يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما

يشاكله ، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً ؛ وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك )) (47) . وقد ذكر ابن أبي الأصبع أنّ فواصل الآي لا تخرج عن أحد أربعة أشياء ؛ التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال (48 ) .

وتعد الفاصلة القرآنية من أشهر مظاهر المناسبة فى القرآن الكريم بين الألفاظ ؛ لأنّ طبيعة الفاصلة أنّها إتيان بخواتم الآيات طبقًا لاختيار أسلوب مقصود ، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين ر ؤوس الآيات [49] ، وقد توسَّع علماء التفسير والإعجاز القرآني فى شرح أنواع الفواصل القرآنية وأفاضوا في تفاصيل أنواعها الأربعة [50] .

أشار الدكتور تمّام حسّان إلى أنّ الفاصلة تأتي فى نهاية الآية لتحقق للنص جانباً جماليّا لا يخطئه الذوق السليم لأننا نحس أنّها تضفي على النّص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالي ... ويحس القارئ عند الفاصلة أنّه يقف عند معلم من معالم السياق (51 ) .

فللفاصلة إذن تقوم بتحقيق استمرارية المعنى بين الآيات ، وبذلك فهي تُسهم في تحقيق التماسك النّصي بين الآيات وسور النّص القرآني ، شأنها شأن الوزن والقافية التي تقوم بإعطاء الصفة النّصية للنّص الشعري ، لأنّ القافية تقوم بخلق توازنات وتنسيقات ، وتعمل على إظهار هندسة صويتة تطريزية ، وفيما يأتي نماذج من فواصل الآيات فى السُّور المختارة على الشكل الآتي :

**١ توجيه المعنى في فواصل السُّور :**

العلاقة بين الفاصلة والمعنى ليست علاقة ثانوية لقضية يمكن الاستغناء عنها ، بل الفواصل القرآنية جزء لا يتجزأ من المعنى أو المضمون ، وبذلك لا يتم المعنى في كثير من النصوص القرآنية إلاّ بعد تمام الفاصلة وبالعكس ، أي المناسبة بين المعنى والفاصلة ، لأنّ جرس اللفظ في الفاصلة له علاقة بالمعنى ( [52] ) .

والأمثلة كثيرة على ذلك ، منها ما ذكر في الآيات الثلاث التي تناوبت خاتمتها الأفعال المضارعة بين " لعلّكم تعقلون" و" لعلّكم تذكّرون " و" لعلّكم تتقون " ، وذلك في قوله تعالى { **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** } ( الأنعام الآيات : 151 – 153 ) .

تتجلى لنا في النّص القرآني على وجه العموم مسألتان :

**الأولى :** دقّة النظم القرآني ، ورصانة ألفاظه ، وسعة معانيه ، وحسن سبكه وتماسكه ، هذه وغيرها من مميزات النص القرآني ، التي تعطي الدّلالة القاطعة والواضحة على روعة بيانه وسموّ إعجازه ، ولا غرابة في ذلك لأنّه تنزيل حكيم حميد .

**الثانية :** علاقة المطلع بالمضمون فالخاتمة ، ومدى ملاءمة بعضها بعضاً ، وهذا هو قمّة التعبير في النّص

القرآني في اختيار الخاتمة التي تلائم السياق .

والمتأمّل أمام هذه الآيات الثلاث لتباين الفواصل فيها ، يجد العلّة التعبيرية لها ، (( فإنّ **الأولى** خُتمت بقوله ( **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ) ، **والثانية** بقوله ( **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ) ، **والثالثة** بقوله ( **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ) ؛ لأنّ الوصايا التي في الآية الأولى إنّما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى ؛ لأنّ الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدّال على توحيده وعظمته ، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكلّ طريق ، وأيضاً قتل الأولاد من الإملاق مع وجود الرزّاق الحيّ الكريم ، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل،وقتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل ، فحسن بعد ذلك **(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**.

وأمّا **الثانية** ، فلتعلّقها بالحقوق المالية والقولية ؛ فإنّ من عَلِمَ أنّ له أيتاماً يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلاّ بما يجب أن يعامل به أيتامه ، ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحبّ أن يكون فيه خيانة ولا بخس ، وكذا من وعد له وعد لم يحب أن يُخلف ، ومن أحبّ ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله ، فترك ذلك إنّما يكون لغفلته عن تدبّر ذلك وتأمّله ؛ فلذلك ناسب الختم بقوله : ( **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ) .

وأمّا **الثالثة** ، فلأنّ ترك اتباع شرائع الله الدينية يؤدي إلى غضبه ، وإلى عقابه ، فحسن ( **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) ، أي عقاب الله بسببه )) ( 53 ) .

وأشار الفخر الرازي إلى السبب في ختم كل آية بما خُتِمَتْ (( أنّ التكاليف الخمسة المذكورة في الآية الأولى ظاهرة جلية ، فوجب تعقلها وتفهمها ، ولهذا جعل خاتمة الآية الأولى قوله : لعلكم تعقلون . والتكاليف الأربعة المذكورة في الآية الأخرى أمور خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد ، والفكر الكثير حتى يقف على موضع الاعتدال وهو التذكر فلهذا السبب قال: لعلكم تذكرون )) ([54] ) .

ويبدو من خلال فواصل الآيات الثلاث واختتام الأخيرة بالتقوى تحقق التماسك ، وذلك إنَّ (( كلمة التقوى تشمل كل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه وقد ذُكِرَتْ في التنزيل في سياق الأوامر والنواهي المختلفة من عبادات ومعاملات ، وآداب وقتال ، وسنن اجتماع ، وطعام وشراب ، وعشرة وزواج وغير ذلك ، فهي تُفَسَّرُ في كل موضع بحسبه [ سياقه ] ، وهي في هذا الموضع تَشْمَلُ جميع الأنواع لأنّها جاءت في سياق اتباع صراط الله المستقيم الشامل لجميع أنواع الهداية الشخصية والاجتماعية )) ( [55]) . وأنَّ هذه الاشكال في الوصايا المذكورة في سياق الآيات ما حُرّم عليهم وما هم مأمورون به ، بأنّ الشرك بالله ، وقتل النفس المحرمة ، وأكل مال اليتيم ، مما حرّم ظاهراً وباطناً ، ووفاء الكيل والميزان بالقسط والعدل في القول ، فضلاً عن الوفاء بالعهد واتباع الصراط المستقيم من الأفعال المأمور بها ، فكان لزاماً أن تكون الفاصلة الأخيرة ( **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ) مهيمنة عليها ومحيطة بها .

وهذا القسم يرتبط فيه اللفظ بالسياق اللغوي ارتباطاً دلالياً ، بحيث يتشابك في معناه ، ومن ذلك مجي أحد الألفاظ له دلالة معينة في موضع ، ثم مجيء آخر قريب منه في المعنى في موضع مشابه ، كما نرى في قوله تعالى { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ( * ) **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ( * ) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ**

**وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** } ( البقرة آية : 11– 13 ) إذ جاءت فاصلة الأولى ( يَشْعُرُن ) والثانية ( يعملون ) فناسب اللفظ الدال على الشعور معنى السياق الذي ورد فيه ، كما ناسب اللفظ الدال على العلم معنى السياق الذي جاء في خاتمة ( [56] ) . وقال **محيي الدين درويش** في توجيه المعنى في فواصل هذه الآيات :

1–(( في الآية خروج الاستفهام من معناه الأصلي وهو طلب العلم إلى أغراض أخرى تفهم من مضمون الكلام وتفصيله في علم المعاني ، ومردّ ذلك الى الذوق السليم .

2–التغاير : وردت في الفاصلة الأولى «لا يشعرون» ووردت في الفاصلة الثانية «لا يعلمون» لسرّ عجيب لا يدركه إلا الملهمون وتفصيل ذلك : أن أمر الديانة ، والوقوف على أن المؤمنين هم على الحقّ وأما المنافقون فهم على الباطل ، هو أمر يحتاج الى بعد نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى اشتجار الفتنة ، واستبحار الفساد في الأرض ، فأمر دنيويّ مبنيّ على العادات ، وهو معلوم عند الناس ، بل هو بمثابة المحسوس عندهم فلذلك قال في: (لا يشعرون ) وأيضا فإنه لما ذكر السّفه في الآية الثانية وهو جهل مطبق كان ذكر العلم أكثر ملاءمة فقال : لا يعلمون وهذا من الدقائق فتنبّه له )) ( [57] ) .

بهذا أكد شهاب الدين الآلوسي ( ت1270هـ ) بقوله : (( إنّما قال سبحانه هنا : ( **لا يَعْلَمُونَ** ) وهناك ( **لا يَشْعُرُونَ** ) لأنَّ المثبت لهم هناك هو الإفساد وهو مما يدرك بأدنى تأمل ولا يحتاج إلى كثير فكر ، فنفى عنهم ما يدرك بالمشاعر مبالغة في تجهيلهم ، والمثبت هنا السفه والمصدر به الأمر بالإيمان ، وذلك مما يحتاج إلى نظر تام يفضي إلى الإيمان والتصديق ولم يقع منهم المأمور به فناسب ذلك نفي العلم عنهم ، ولأنّ السفه خفة العقل والجهل بالأمور – على ما قيل – فيناسبه أتم مناسبة نفي العلم ، وهذا مبني على ما هو الظاهر في المفعول وعلى غير الظاهر غير ظاهر فتدبر )) ( [58] ) .

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى { **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** } (البقرة آية : 45 ) ، أشار الدكتور فاضل السامرائي في توجيه المعنى في فواصل النص القرآني بقوله : (( إنّما أعاد الضمير فيه على لفظ ( الصلاة ) دون ( الصبر ) ، وختم الآية بالكلام عليها لا الكلام على الصبر ، فقد تقدم ذكر الصلاة والمطالبة بها [ في سياق سابق في الآية التي قبلها ] قال تعالى ( **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ) [ البقرة آية : 43] بخلاف قوله تعالى ( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ) [ البقرة آية : 153 ] ، فقد ختم الآية بالكلام على الصبر ، وذلك لأنّ الكلام عليه والسياق يقتضيه فقد قال تعالى بعد هذه الآية [ في سياق لاحق في الآية التي تليها ] ( **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** (154) **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (155) **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** (156) ) فلما كان السياق في الموطن الأول عن الصلاة أعاد الضمير عليها وختم الآية بها . ولمّا كان السياق في الموطن الثاني عن الصبر ختم الآية على الصابرين )) ( [59] ) . وبهذا جاءت فاصلة الأولى ( الْخَاشِعِينَ ) والثانية ( الصَّابِرِينَ ) ، فناسب اللفظ الدال على الخشوع معنى السياق في الصلاة الذي ورد فيه ، كما ناسب اللفظ الدال على الصبر معنى السياق في الابتلاء الذي جاء في خاتمة الآية .

**2-أثر المناسبة في توجيه المعنى في العدول عن الأصل :**

فالمقصود بهذه المناسبة أن يفضي السياق إلى استعمال لفظ بعينه أو تركيب ما ، دون غيره توجيهاً للمعنى في العدول عن الأصل لوجود علاقة ما أو ارتباط معين دلالي بين هذا اللفظ مفرداً أو مركباً وذلك السياق .

ومن مظاهر العدول في النّص القرآني ، أي الإتيان بلفظ مكان لفظ آخر هو الأحق بالذكر ، مثلاً ما جاء من المصادر التي توضع مكان المصدر الأصلي للفعل ، والأصل في المصدر أن يجيء إتباعاً لفعله نحو قوله تعالى { **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** } ( النّساء آية : 164 ) ، هذا هو الأصل ، وتكليم بوزن تفعيل وهو مصدر كلّم بوزن فعّل ، قال الشوكاني : (( وفائدة التأكيد : دفع توهم كون التكليم مجازاً ، كما قال الفراء : إنّ العرب تسمي ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وقيل : ما لم يؤكد بالمصدر ، فإذا أكد لم يكن إلاّ حقيقة الكلام . قال النّحاس : وأجمع النّحويون : على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً )) ( [60] ) .

أمّا ما جاء غير ذلك فعلى غير الأصل ، نحو قوله تعالى { **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا** } ( آل عمران آية : 37 ) فمصدر ( **أَنْبَتَ** ) هو إنبات (( ومن مباحث اللفظ أن **الْقَبُولَ** مصدر " **قَبِلَ** " لَا " **تَقَبَّلَ** " والنبات مصدر لـ " نَبَت " لا لـ " أنبت " ولكن العرب تخرج المصدر أحيانا على غير صيغة الفعل )) ( [61] ) .

ويبدو في هذه الآية ترابط جملي أدى إلى تحقيق تماسك النّص واتساقة ، وذلك من خلال الجناس المغاير في قوله ( فتقبلها ربها بقبول حسن ) وفي قوله ( فأنبتها نباتاً حسناً ) وفي قوله (رزقاً ) و ( يرزق ) .

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى { **وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا** } ( النّساء آية : 75 ) ، قال الزمخشري : (( فإن قلت : لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث ؟ قلت: هو وصف للقرية إلاّ أنّه مسند إلى أهلها ، فأعطى إعراب القرية لأنّه صفتها ، وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ، ولو أنث فقيل : الظالمة أهلها ، لجاز لا لتأنيث الموصوف ، ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث . فإن قلت :

هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها ؟ قلت : نعم ، كما تقول : التي ظلموا أهلها ، على لغة من يقول أكلوني البراغيث ، ومنه " وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا " )) ( [62] ) .

ويبدو في الآية تذكير صفة اللفظ المؤنث في قوله : **الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا** لتذكير ما أسند إليه فإنّ اسم الفاعل أو المفعول إذا أجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه ، فالظالم أهلها هاهنا كقولك : التي يظلم أهلها . وأنّ (( كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم إليها ينسب بطريق المجاز كقوله : ( **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً** ) إلى قوله : ( **فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ** ) وقوله : ( **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا** ) وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم إلى أهلها على الحقيقة ، [ ولم يؤنثه تبعاً للقرية ] ، لأنّ المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم إليها تشريفاً لها شرفها اللّه تعالى )) ( [63] ) . يقول د . محمد عبدالله سعادة (( هذا يسمى في علم النحو بالنعت السببي مثل أن تقول : هذا رجل عالم أخوه ، وهذه امرأة عالم أخوها ... فلفظ ( عالم ) وهو وصف امرأة ، إنما ذكر تبعاً لـ ( أخوها ) فالعالم هو أخو المرأة ، وليس المرأة نفسها )) ( [64] ) .

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى { **إِنَّ رَحْمتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** } ( الأعراف آية : 56 ) فقوله : (**رَحْمَتَ اللَّهِ**) مؤنثة في اللفظ ، فكان القياس أو الأصل أن يقول ( قريبة ) بالتأنيث لمناسبة لفظة (الرحمة ) .

الجواب : أنّه قد يكون ذكّر ( قريب ) على تفسير الرحمة بالعفو والإحسان والغفران ، فحمل الخبر وهو قريب على المعنى ، ويؤيده قوله : ( **هذا رحمة من ربي** ) ولم يقل هذه رحمة من ربي وإنما قال هذا رحمة بالتذكير . فأتى اسم الإشارة مذكراً . ومثله قوله تعالى : ( **والملائكة بعد ذلك ظهير** ) . وقد يكون ذلك للفرق بين القريب بمعنى النسب ، والقريب من المكان . فيقال هذه قريبتي في النسب ، وقريبي من المكان ، وقد يكون ذلك بتقدير المكان ، أي : إنّ رحمة الله مكان قريب ( [65]) .

قال الزجاج : إنّما قيل : ( قريب ) لأنّ الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد ، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي . وقال الأخفش : جائز أن تكون الرّحمة ها هنا في معنى المطر ، فذكر قريب لأجله ، وقيل : كلمة قريب على وزن فعيل ، وصيغة فعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث مثل قوله تعالى { ... وهي رمِيمٌ } ( يس آية : 78 ) ، ولم يقل ( رميمة ) ( [66]) .

وبهذا أشار أبو حيان الأندلسي بقوله : (( فالرحمة في هذه الأقوال بدل عن مذكر . وقيل : التذكير على طريق النسب أي ذات قرب ، وقيل : قريب نعت لمذكر محذوف أي شيء قريب ، وقيل : قريب مشبه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول نحو خضيب وجريح كما شُبِّهَ فعيل بـه فقيل شريفا من أحكامه فقيل في جمع ه فعلاء كأسير وأسراء وقتيل وقتلاء كما قالوا : رحيم ورحماء وعليم وعلماء ، وقيل : هو مصدر جاء على فعيل كالضغيث وهو صوت الأرنب والنقيق وإذا كان مصدراً أصح أن يُخْبَرَ به عن المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المصدر ، وقيل لأنّ تأنيث الرحمة غيرُ حقيقي )) ( [67]) . وأيضاً يرى الباحث أنّ اكتساب المضاف ( رحمة ) التذكير من المضاف إليه وهو لفظ الجلالة فأخبر بالمذكر ( قريب ) .

علماً أنّ " رحمت " رسمت هكذا في سبعة مواضع { **يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّه** } (البقرة آية :156) ، { **إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين**} (الأعراف آية :56) ، { **رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه** } (هود آية :73) ، { **ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّك** } (مريم آية :2) ،{ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ** } (الروم آية :50) ، { **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّك** } ، { **وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْر** } كلاهما ب(الزخرف آية :32) ، وما عدا ذلك فبالهاء المربوطة .

- **التقديم والتأخير :**

ويعدّ التقديم والتأخير في أسلوب القرآن الكريم أداة فعّالة لأداء هذا الأسلوب المعجز ، فكل كلمة قدمت لسبب وأخرت أخرى لمسبب ، والتقديم والتأخير يعتمد على وضع الكلمات في سياقات مختلفة ؛ لبيان سبب التقديم والتأخير ، ليخرج النّص إلى أغراض دلالية متنوعة ، يقول الدكتور فاضل السامرائي (( إنّ تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول ، يجمعها قولهم : إنّ التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام . فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام ، والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال . ... والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنّا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى بحسب المقام . فمثلاً يقدم السماء على الأرض ، ومرة يقدم الأرض على السماء ... ومرة يقدم الضر على النفع ، ومرة يقدم النفع على الضر ، كل ذلك بحسب ما يقتضيه فن القول وسياق التعبير .

فاذا أردت أن تبين أسباب هذا التقديم أو ذاك فإنّه لا يصح الاكتفاء بالقول إنّه قدّم هذه الكلمة هنا للعناية بها والاهتمام من دون تبيين مواطن هذه العناية وسبب هذا التقديم )) ( [68]) . ومن الأغراض الدّلالية التي خرج إليها أسلوب التقديم والتأخير هي :

**1- التقديم للعناية والاهتمام :**

نجد في كتاب الله تعالى تقديماً لبعض الألفاظ على غيرها مثل تقديم النفع على الضر / والهداية على الضلال / والخير على السوء ... نحو قوله تعالى { **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } (الأعراف آية : 188) . وقوله { **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** } (الأعراف آية : 178) . كل هذا يتناسب مع السياق فنراه يقدم لفظة في موضع ويؤخرها في موضع آخر بحسب ما يقتضي السياق .

يقول ابن عاشور في قوله تعالى " **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ... (( الجملة مستأنفة ابتدائية قصد من استينافها الاهتمام بمضمونها ، كي تتوجه الأسماع إليها، ولذلك أعيد الأمر بالقول مع تقدمه مرتين في قوله : ( **قل إنما علمها عند ربي** ... ) و ( **قل إنما علمها عند الله** ) [الأعراف : 187 ] للاهتمام باستقلال المقول ، وأن لا يندرج في جملة المقول المحكي قبله ، وخص هذا المقول بالإخبار عن حال الرسول عليه الصلاة والسلام نحو معرفة الغيب ليقلع من عقول المشركين توهم ملازمة معرفة الغيب لصفة النبوة ، إعلانا للمشركين بالتزام أنه لا يعلم الغيب ... وقدم النفع في الذكر هنا على الضر : لأنّ النفع أحب إلى الإنسان ، وعكس في آية المائدة [ عند قوله تعالى : " **قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً** "76 ] ، لأنّ المقصود تهوين أمر معبوداتهم وأنّها لا يخشى غضبها ... فصار ذكر هذين الضدين مثل ذكر المساء والصباح وذكر الليل والنهار والشر والخير ... وجملة : " **إن أنا إلا نذير وبشير** " من تمام القول المأمور به وهي مستأنفة استينافاً بيانياً ... وإنما قدم وصف النذير على وصف البشير، هنا : لأنّ المقام خطاب المكذبين المشركين ، فالنذارة أعلق بهم من البشارة )) ( [69] ) .

وبهذا أشار الزركشي بقوله : (( حيث تقدم النفع على الضر فلتقدم ما يتضمن النفع ؛ وذلك في سبعة مواضع : ثلاثة منها بلفظ الاسم ، وهى في الاعراف { **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** } وقوله {**قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** } ( الرعد : 16) وقوله { **فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** } ( سبأ : 42) ؛ وأربعة بلفظ الفعل وهى نحو قوله تعالى { **قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا** } (الأنعام :71) وقوله { **وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ** } ( يونس : 106) ، وقوله { **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ** } ( الأنبياء : 66 ) ، وقوله { **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ** } ( الفرقان : 55 )) ( [70]) .

وقد يقدم لفظ ( الضرر ) على ( النفع ) في أكثر آيات القرآن ، نحو قوله تعالى { **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** } ( يونس : 18 ) ؛ لأنّ العابد يعبد معبود هخوفاً من عقابه أولاً ثم طمعاً في ثوابه ، هذا من جانب ، وأيضاً لأنّ دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا تقدم في سياق الآيات القدرة والملك كان ذكر دفع الضرر أهم ، وإذا كان السياق في صدد الدعاء أو العبادة أو السؤال

كان ذكر النفع أولى وأهم ، من جانب آخر ( [71] ) .

ومن أمثلة هذا النوع من التقديم والتأخير قوله تعالى : { **وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** } (الأنعام آية : 66 ) ، ولما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قوم .هـ ، (( قدم الجار والمجرور للاهتمام به معبراً بالأداة الدالة على القصر والغلبة )) ( 72 ) ، أي لأقهركم على الردّ عمّا أنتم فيه .

وقوله { **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السماوات والأرض يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ** } ( المائدة آية :40 ) ، (( والقارئ بإمعان للقرآن يجد فيه عبارات تجمع بين أمرين أحدهما يتقدم ، والآخر يتأخر . ويأتي الأمر في أحيان أخرى بالعكس . ولكن هذا القول هو الوحيد في القرآن الذي يأتي على هذا النسق ، فكل ما جاء في القرآن يكون الغفران مقدّماً على العذاب ... فلماذا جاء العذاب في هذه الآية مقدماً على الغُفران : { **يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ** } هل السبب هو التَّفنّن في الأساليب ؟ **لا** ؛ لأنّ جمهرة الآيات تأتي بالغفران أولاً ، ثم بالوعيد بالعذاب لمن يشاء سبحانه . ولننظر إلى السّياق . جاء الحديث أولاً عن السارق والسارقة ، وبعد ذلك عمّن تاب . فالسرقة إذن تقتضي التعذيب ، والتوبة تقتضي المغفرة ، إذن فالترتيب هنا منطقي .

ونلحظ أن هذا القول قد جاء بعد آية السرقة وبعد آية الإعلام بأنّ له مُلْكَ السموات والأرض . ولذلك كان لا بد من تذييل يخدم الاثنين معاً . ليؤكد سيطرة القدرة . وحين يريد الحق أن يرحم واحداً . فليس في قدرة المرحوم أن يقول : « لا أريد الرحمة » . وحين يعذب واحداً لن يقول المعذَّب – بفتح الذال – « لا داعي للعذاب » . فسيطرة القدرة تؤكد أنّه لا قدرة لأحد على رَدِّ العذاب أو الرحمة . إذن فالآية قد جاءت لتخدم أغراضاً مُتعددة . فإن حسبناها في ميزان الأحداث فللحق كل القدرة . وإن حسبناها في ميزان الزمن ، فكيف يكون الأمر؟ . نعرف أن التعذيب للسّرقة قسمان : تعذيب بإقامة الحَدّ ، وفي الآخرة تكون المغفرة . إذن فالكلام منطقي مُتَّسق .)) ([73] ) .

إذن إنما قدم التعذيب لأنّ السياق للوعيد ، فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر . بهذا ارتبط اللفظ بالسياق اللغوي ارتباطًا دلاليًا ، بحيث يتشابك في معناه أو بنيته مع ذلك السياق ، وإنّ مجيء أحد الألفاظ مقدماً في موضع ومؤخراً في موضع آخر لعلة دلالية يقتضيها السياق .

**2-التقديم للأولية :**

ورد هذا النوع من التقديم في قوله تعالى : { ... **إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** } يقول البقاعي : (( والرأفة : شدة الرحمة فقدّم الأبلغ )) ( 74 ) ، فالمعنى : أنّه يرحمهم أعلى الرحمة بإسباغ جلائل النعم ودفع جلائل النقم ، ويرحمهم أيضاً بإسباغ دقائق النعم ودفع دقائق النقم ، وقد علل الشيخ الطوسي قائلاً : ((لأنّ الرّأفة أشد مبالغة من الرحمة ؛ ليجري . على طريقة التقديم بما هو أعرف . مجرى أسماء الأعلام ثم إتباعه بما هو دون منه ؛ ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغ منه )) ( [75]) ، أي أن اجتماع الرافة والرحمة أبلغ من انفراد كل منهما ؛ لأنّ في كل منهما خصوصية في المعنى تحقق باجتماعها فائدة دلالية هي قوة المبالغة ( 76 ) ، (( وأنّ الرأفة ابلغ من الرحمة ، تقديماً وتأخيراً ، فإذا تقدّم الأبلغ في اللفظ كان المعنى مؤخراً )) ( 77 ) .

ومن أمثلة التقديم والأولية في الوجود في ترتيب الكلمات على هذا الأساس في النص القرآني ، فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه فالذي يليه وهكذا وذلك نحو قوله تعالى { **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**

**وَلَا نَوْمٌ** } ( البقرة آية : 255) ، السِّنة هي : النعاس الذي يأتي في أول النوم ، وبهذا أشار الدكتور فاضل السامرائي بقوله : (( السِّنة : وهي النعاس تسبق النوم [ فلهذا ] بدأ بالسنة ثم النوم )) ( [78] ) .

ونظير ذلك قوله تعالى { **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** } (آل عمران آية : 14) ، (( فلما صُدِّرت الآية بذكر الحب ، وكان المحبوب مختلفَ المراتب ، اقتضت حكمةُ الترتيب أن يقدم ما هو الأهم فالأهم ، في رتبة المحبوبات التي ذكرت )) ( [79] ) . فبدأ بذكر النساء لشدة الشهوة إليهن أكثر ، ثم ذكر البنين وقدمها على الأموال لتمكنهم في النفوس واختلاط محبتهم بالأفئدة ، ثم قدم الذهب على الفضة ، وقدم الفضة على الخيل المسومة والأنعام ، وسماها كلها شهوات حرصاً على الاستمتاع بها .

وفي الآية فن مراعاة النظير ، وهو أن يجمع بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المقابلة والمطابقة ، وقد جمع سبحانه في هذه الآية معظم وسائل النعيم الآيلة بالمرء إلى الانهماك في الفتنة والانسياق مع دواعي النفس الجموح ، وقد زينت للناس واستهوتهم ...، فكان (( سياق الآية تفضيل معالي الأمور وصالح الأعمال على المشتهيات المخلوطة أنواعها ، وبيان الشهوات بـ النساء والبنين وما بعدهما ، بيان بأصول الشهوات البشرية : التي تجمع مشتهيات كثيرة ، والتي لا تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار ، فالميل إلى النساء مركوز في الطبع ... وفي الولد أيضاً ... والذهب والفضة شهوتان بحسن منظرهما وما يتخذ منهما من حلي للرجال والنساء ... )) ( [80] ) .

ومن الأمثلة أيضاً تقديم المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة ، نحو قوله تعالى { **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } ( البقرة آية : 173 ) ، وقوله { **وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** } ( النساء آية : 100 ) .

إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر نحو السميع والبصير والظلمات والنور والليل والنهار والجن والإنس في الأكثر وفي بعضها الإنس والجن وتقديم السماء على الأرض في الذكر وتقديم الأرض عليها في بعض الآي ونحو الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ، ولم يجيء عليم سميع وكذلك عزيز حكيم وغفور رحيم وفي موضع واحد الرحيم الغفور إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة لأنّه كلام الحكيم الخبير ، قال الزركشي في سبب تقديم لفظ الغفور على الرحيم (( إنّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ، وإنّما تأخرت في آية سبأ في قوله { **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ** (2) } فالرحمة شملتهم جميعاً والمغفرة تخص بعضاً والعموم قبل الخصوص بالرتبة )) ( [81] ) .

**3-التقديم بحسب الفضل أو التدرّج :**

قد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف ومنه تقديم الله سبحانه في الذكر على سائر الخلق ( [82] ) . كقوله تعالى { **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** } ( النساء آية : 69 ) .

قُدّم لفظ الجلاله (( " الله " على الرسول ثم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم ، فبدأ بالأفضلين وهم النبيون ثم ذكر من بعدَهم بحسب تفاضلهم ، كما تدرج من القلة إلى الكثرة فبدأ بالنبيين وهم أقل الخلق ثم الصدّيقين وهم أكثر ثم الشهداء ثم الصالحين ، فكل صنف أكثر من الذي قبله فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل . ولا شك أنّ أفضل الخلق هم أقل الخلق إذ الخلق كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم )) ([83] ) . وليس المراد بكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين ، كون الكل في درجة واحدة ، (( لأنّ هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول ، وإنّه لا يجوز . بل المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر ، وإن بعد المكان ، لأنّ الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أرادوا الزيارة والتلاقي قدروا عليه ، فهذا هو المراد من هذه المعية .. وأنّه تعالى ذكر النبيين ، ثم ذكر أوصافاً ثلاثة : الصديقين والشهداء والصالحين ، واتفقوا على أن النبيين مغايرون للصديقين والشهداء والصالحين ، فأما هذه الصفات الثلاثة فقد اختلفوا فيها ، قال بعضهم : هذه الصفات كلها لموصوف واحد ، وهي صفات متداخلة فإنّه لا يمتنع في الشخص الواحد أن يكون صديقاً وشهيداً وصالحاً . وقال الآخرون : بل المراد/ بكل وصف صنف من الناس ، وهذا الوجه أقرب لأنّ المعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه ، وكما أنّ النبيين غير من ذكر بعدهم ، فكذلك الصديقون يجب أن يكونوا غير من ذكر بعدهم وكذا القول في سائر الصفات )) ([84] ) .

ومن أمثلة تقديم الأعم على الأخص أو التدرّج من القلة إلى الكثرة أو من الكثرة إلى القلة ، قوله تعالى { **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**} ( البقرة آية : 125 ) .

قال الزركشي (( قدّم الطائفين لقربهم من البيت ؛ ثم ثنّى بالقائمين وهم العاكفون ؛ لأنّهم يخصّون موضعاً بالعكوف والطواف بخلافه فكان أعمّ منه ، والأعم قبل الأخصّ ، ثم ثلث بالرّكوع لأنّ الركوع لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده . ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة :

**الاول** : كيف جمع الطائفين والقائمين جمع سلامة ، والركع جمع تكسير ؟ والجواب : أنّ جمع السلامة أقربُ إلى لفظ الفعل ، فطائفون بمنزلة يطوفون ، ففي لفظة إشعار بصلة التطهير ، وهو حدوث الطواف وتجدّده ، ولو قال : بالطواف لم يفد ذلك ، لأنّ لفظ المصدر يخفي ذلك ، وكذا القول في القائمين ، وأمّا الراكعون فَلما سبق أنّه لا يلزم كونه في البيت ولا عنده ، فلهذا لم يجمع جمع سلامة ؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير ، كما احتيج فيما قبله .

**الثاني** : كيف وصف الركّع بالسجود ولم يعطف بالواو ؟ والجواب : لأنّ الركّع هم السُّجود ، والشئ لا يعطف على نفسه ؛ لأنّ السجود يكون عبارة عن المصدر ، وهو هنا عبارة عن الجمع ، فلو عطف بالواو لأوهم إرادةَ المصدر دون اسم الفاعل ؛ لأنّ الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعاً ، ولو عطف بالواو لأوهم أنه مستقلّ ، كالذي قبله .

**الثالث** : هلّا قيل : السُّجد كما قيل الركّع ، وكما جاء في آية أخرى { **تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدا** } (الفتح : 29) ، والركوع قبل السجود ! والجواب : أنّ السجود يُطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع ، فلو قال :

السجّد لم يتناول إلاّ المعنى الظاهر ومنه ( تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدا ) ، وهو من رؤية العين ، ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر ، فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري ؛ بخلاف الركوع ، فإنّه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم ، دون أعمال القلب ، فجعل السجود وصفاً للركوع وتتميماً ؛ له لأنّ الخشوع روح الصلاة وسرّها الذي شرعت له)) ([85] ) .

فكانت كل طائفة هي أقل من التي بعدها ، فتدرّج من القلة إلى الكثرة . فالطائفون أقل من العاكفين لأنّ الطواف لا يكون إلاّ حول الكعبة ، وأمّا العكوف فيكون في المساجد عموماً ، والعاكفون أقل من الراكعين لأنّ الركوع أي الصلاة تكون في كل أرض طاهرة ، ولذلك فلا يكون العكوف إلاّ في بيوت الله عزّ وجلّ . والراكعون أقل من الساجدين ، وذلك لأنّ لكل ركعة سجدتين ثم إنّ كل راكع لا بدّ أن يسجد وقد يكون السجود ليس له ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر ، فهو هنا تدرج من القلة إلى الكثرة ( [86] ) ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر لهذا التدرج (( سبب اقتضاه المقام فإنّ الكلام على بيت الله الحرام ، قال تعالى ( **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ) فالطائفون هو ألصق المذكورين بالبيت لأنّهم يطوفون حوله ، فبدأ بهم ثم تدرج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً ، ثمّ الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل أرض )) ( [87] ) .

وقد يكون الكلام على العكس من ذلك فيتدرج من الكثرة إلى القلة ، ومن تقديم الكثرة إلى القلة أو بالفضل نحو قوله تعالى { **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** } ( آل عمرآن آية : 43) ، يقول ابن الجوزية (( ومما قدم بالفضل قوله ( **اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ) ، لأنّ السجود أفضل وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . فإن قيل فالركوع قبله بالطبع والزمان والعادة لأنّه انتقال من علو إلى انخفاض والعلو بالطبع قبل الإنخفاض فهلا قدّم الركوع ؟ .

الجواب : أن يقال : لمعنى الآية من قوله : ( اركعي مع الراكعين ) ولم يقل ( اسجدي مع الساجدين) فإنّما عبر بالسجود عن الصلاة ، وأراد صلاتها في بيتها ، لأنّ صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها مع قومها ، ثم قال لها اركعي مع الراكعين ، أي : صلي مع المصلين في بيت المقدس ، ولم يرد أيضاً الركوع وحده دون أجزاء الصلاة ولكنه عبر بالركوع عن الصلاة كما تقول ركعت ركعتين وأربع ركعات يريد الصلاة لا الركوع بمجرده ، فصارت الآية متضمنة لصلاتين صلاتها وحدها عبر عنها بالسجود لأنّ السجود أفضل حالات العبد ، وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها ثم صلاتها في المسجد عبر عنها بالركوع لأنّه في الفضل دون السجود وكذلك صلاتها مع المصلين دون صلاتها وحدها في بيتها ومحرابها )) ([88] ) .

وقد استشكل ابن عطية هذا ، فقال : (( وهذه الآية أشد إشكالاً من قولنا : قام زيد وعمرو ، لأنّ قيام زيد وعمرو ليس له رتبة معلومة ، وهذه الآية قد علم أنّ السجود بعد الركوع ، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك ؟ )) ([89] ) ، يقول أبو حيان الأندلسي : (( هذا كلام من لم يمعن النظر في كتاب سيبويه ، فإن سيبويه ذكر أن الواو يكون معها في العطف المعية ، وتقديم السابق وتقديم اللاحق يحتمل ذلك احتمالات سواء ، فلا يترجح أحد الاحتمالات على الآخر ، ولا التفات لقول بعض أصحابنا المتأخرين في ترجيح المعية على تقديم السابق وعلى تقديم اللاحق ، ولا في ترجيح تقديم السابق على تقديم اللاحق)) ([90] ) .

وأما قوله : { **مَعَ الراكعين** } ولم يقل مع الراكعات ، فلأنّ هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغليب ، فعد الأنثى من الذكور ، أ و لمناسبة رؤوس الآي وترابطها ، نحو قوله تعالى { **وَكانَتْ مِن القَانِتِينَ** } ولأنّ الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا : إنها مأمورة بصلاة الجماعة ([91]) . ولهذا فالتقديم تناسب وتناسق مع السياق حتى حقق التماسك ، فلذلك بدأ بالقنوت وهو عموم العبادة ثم السجود وهو أقل وأخص ثم الركوع وهو أخص .

ومن الأمثلة التي تُدرج من الكثرة إلى القلة وذلك نحو قوله تعالى { **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** } ( المائدة آية : 38 ) ، قدّم السارق على السارقة لأنّ السرقة في الذكور أكثر . وقدّم الزانية على الزاني في قوله تعالى { **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ** } ( النور آية : 2) لأنّ الزنى فيهن أكثر . وإنّ قسماً من النساء يحترفن هذه الفعلة الفاحشة ؟ وجاء في حاشية ابن المنير على الكشاف قوله : وقدّم الزانية على الزاني والسبب فيه أنّ الكلام الأول في حكم الزنى والأصل فيه المرأة لما يبدو من الإطماع والكلام ، ولأنّ مفسدته تتحقق بالإضافة إليها ([92]) .

إذن تُشكل ظاهرة القديم والتأخير آليات أساسية في تحقيق الاتساق والانسجام وصولاً بالنص إلى تماسك محكم الصياغة ، ولهذا لم يكتفِ النص القرآني في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواطن التي وردت فيها اللفظة ، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في النص القرآني كله ، فكان التعبير متسقاً متناسقاً متماسكاً مع غيره من التعبيرات القرآنية كأنّه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة ([93]) .

- **مناسبة العدد اللغوي وتماسك النّص .**

يرى العلماء أنّه قد تقع أمثلة الجمع موقع بعضها ، كما في قوله تعالى { **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** } ( البقرة آية : 228 ) ، هذه الآية عطفت على الجملة قبلها لشدة المناسبة وللاتحاد في الحكم وهو التربص، إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة ، ولذلك لم يقدم قوله : ( **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ** ) [ البقرة : 229 ] على قوله : ( **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ** ) لأن هذه الآي جاءت متناسقةً منتظمةً على حسب مناسبات الانتقال على عادة القرآن في إبداع الأحكام وإلقائها بأسلوب سهل لا تسأم منه النفس ، ولا يجيء على صورة التعليم والدرس ([94]) ، والقروء جمع قرء بضم القاف وفتحها وهو الحيض . فجاء التميز ( قروء ) جمع كثرة على وزن فُعُول دون القلة وهو أقراء على وزن ( أفعال ) ([95]) . قال الزركشي : (( فلضاف الثلاثة إلى القروء ، وهو جمع كثرة ، ولم يُضْفها إلى الأقراء التي هي جمع قله . قال الحريري : المعنى لِتَتَرَبّص كُلّ واحدة منهن ثلاثة اقراء ، فلما أسنَد إلى جماعتهنّ ثلاثة – والواجب على كل فرد منهن ثلاثة – أتى بلفظ ( قروء ) لتدل على الكثرة المرادة ، والمعنى الملموح )) ([96]) .

فكان حق ثلاثة في الآية أن تضاف إلى ( أقراء ) أو ( أقرؤ ) بوزن ( أفْعُل ) وكلاهما جمع قلة ؛ لأنّ تمييز العدد من ثلاثة إلى عشرة يكون جمع قلة ، والعرب يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر ، ولعل ( القروء ) كانت أكثر استعمالاً من الأقراء ففضله ، وانتصب ثلاثة قروء ، على النيابة عن المفعول فيه ، لأنّ الكلام على تقدير مضافٍ أي مُدةَ ثلاثة قروء ، فلما حُذِف المضاف خَلَفه المضاف إليه في الإعراب ([97]) . فضلاً عن تماسك النّص مع النّص السابق ، هذا من جانب .

ومن جانب ثانٍ : إنّ كل النساء تتربص ثلاثة أقراء ، ولما أسند التربص إلى جماعة النساء المطلقات وهنّ كثير أتى بلفظ ( قروء ) الدال على الكثرة ، وأيضاً فُضّل جمع الكثرة هنا ( قروء ) لأنّ بناء القلة شاذ ، فإنّه جمع ( قرء ) بفتح القاف وهو على وزن ( فَعْل ) . وجمع ( فَعْل ) صحيح العين على ( أفعال ) شاذ فجمع على ( فُعُول ) ( [98]) .

ومن جانب ثالثٍ : الأقراء هذا جم.ع قلّة ، والقروء جمع كثرة . وقد ورد فى ا لآية ، بدل الأول : توسعاً . وهناكَ جمع ثَالِث فى أدنى الع دَد ، وهو : أقرؤ ، كما أشرنا آنفاً ، وبهذا أشار **ابن عاشور** بقوله : (( القروء صيغة جم.ع الكثرة ، استعمل في الثلاثة وهي قلة توسعاً ، على عاداتهم في الجموع أنها تتناوب ، فلأوثر في الآية الأخف مع أمن اللبس بوجود صريح العدد . وبانتهاء القروء الثلاثة تنقضي مدة العدة )) ( [99] ) .

وهنا نطرح سؤالاً مفاده : لم قال ( **يَتَرَبَّصْنَ** ) من دون غيرها من الأفعال الدالة على ذلك ، مثل : يمكثن ، أو ينظرن ، ولم قال : ( بأنفسهنّ ) في آية آخرى في السورة نفسها { **تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ** ... (226) } دون ذكر الأنفس ؛ لأنّ (( في اختيار لفظ التربص وهو الانتظار لأمر كان خيراً أو شراً يدل على التحفز ؛ لأنّ النساء بعد الطلاق يرون حياة أخرى جديدة وبعد انتهاء العدة تثبت لنفسها ولغيرها ، وذلك يصاحب صورة التربص وفي ذكر الأنفس تهييج لهنّ على التربص ، لأنّ أنفس النساء تطمح إلى الرجال ،فأمرهنّ الله سبحانه أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص)) ( [100] ) .

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى { **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** } ( الأنعام آية : 38 ) ، لأنّ المعنى بدابة والذي سيق له الكلام الجنسية لا الافراد بدليل قوله تعالى ( **إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ) فجمع ( **أُمَمٌ** ) محقِّق إرادة الجنس من الوصف اللازم للجنس المذكور ، وهو كون الدابة غير منفكة عن كونها في الأرض ، وكون الطائر غير منفك كونه طائراً بجناحيه ؛ لينتفيَ توهمُ الفرديّة ( [101] ) .

معنى هذه الآية غامض بدءاً . ونهايتها أشدُّ غموضاً ، وموقعها في هذا السياق خفي المناسبة . إنّ معنى قولهـ : ( **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ** ) – إلى قوله – ( **إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ) أن لها خصائص لكل جنس ونوع منهـا كما لأمم البشر خصائصها ، ومن تلك النظرات التي ذكرها العلماء والتي حققت تماسك النص في الآية ( [102] ) .

**الأولى** : لم قال : ( **أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ) بالجمع مع إفراد الدابة والطائر ؟ .

**الثانيـة** : لماذا لم يقل : وما من دابة ولا طائر ؟ . وما معنى زيادة الوصف بقولـه : ( **فِي الْأَرْضِ** ) ، ولفظ ( **يَطِير** ) ؟ .

**الثالثة** : لماذا لم يقل : وما من دابة في الأرض ولا طائر ؟ .

الجواب عن الأولى : أنّ كلمة دابة وكلمة طائر تدلان على معنى الاستغراق والعموم ، فيحتمل قوله : ( **إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ) على المعنى وهو الجمع .

وأمّا الجواب عن الثانية : فأنّه يفيد زيادة التعميم والإحاطة ، كأنّه قيل : وما من دابة في جميع الأراضين السبع وما من طائر في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم ، ويحتمل أن يقال إنّ الطيران لما كان

يوصف به من يعقل كالجانّ والملائكة فلو لم يقل بجناحيه لاحتمل أن يدخل فيه من يعقل ، فقيل بجناحيه ليفيد إرادة الطير غير العاقل بعينه .

وأمّا الجواب الثالثة : فأنّه لو اقتصر على الطائر فقال : ( **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ** ) ، لكان ظاهرُ العطف يوهم : ( ولا طائر في الأرض ) ؛ لأنّ المعطوفَ عليه إذا قيِّد بظرف أو حال يقيّد به المعطوف ، وكان ذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض فقط الذي لا يطير بجناحيه ، كالبط والدجاج .. فلمّا قال : ( **يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ** ) زال هذا الوهم ، وعُلِم أنّه ليس بطائر مقيّد ؛ إنّما تقيدت به الدابة .

**وأخيراً** من هذا العرض لقضية المناسبة تتبين وظيفتها في تحقيق التماسك النّصي،على مستوى آيات السورة الواحدة ، وبهذا يتأكد أنّ المناسبة من الأنماط المحققة للتماسك النصي ، وذلك في الخروج في التحليل اللغوي من إطار الجملة إلى إطار النّص . وبذلك يكون التعبير القرآني تعبيراً فنياً مقصوداً . كل لفظ .ة بل كل حرف فيه وضع موضعاً دقيقاً . (( ولذا نراه ـ مثلاً ـ لا يذكر القصة على صورة واحدة بل نراه يذكر في مواطن ما يطوي ذكره في موطن آخر ، ويفصل في موطن ما يوجزه في موطن آخر ، ويقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر ، بل نراه أحياناً يغير في التعبيرات ونظم الكلام تعبيراً لا يخل بالمعنى . كل ذلك يفعله بحسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام )) ( [103] ) .

– لقد راعى الخطاب القرآني تفاوت درجات المتلقين أو المخاطبين في الفهِّم فكان خطابه مؤسساً على جملة من المقاصد التي تُحدد الهدف والغاية ، وإنّ دلالة النص تتكشف من خلال تحليل بنائه اللغوي ثم العودة إلى السياق حتى يتضح الأمر والحالة المناسبة .

– لا يعمد الأسلوب القرآني إلى العدول عن أصل التركيب ، إلاّ لتحقيق دلالة معينة يقتضيها السياق ، لا تتحقق بمجيء التركيب على أصله المفترض ، فعلم المناسبات القرآنية هو التَرجمان الحقيقي للسياق القرآني ، وارتباطه به ارتباط الرأس من الجسد ، فلا يكاد ينفك عنه بحال ، إذ إنّ علم المناسبات يبحث في بيان وجه ارتباط الآيات بعضها ببعضها الآخر في سياقها ، والسياق هو الضّام لتلك الآيات بما تحمله من معانٍ وحقائق.

– لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف وإنّما يراد المعنى قبل ذلك ويلتقي الحرف بالمشابهة اللفظية مع المعنى . وأحياناً لا يراعي القرآن الكريم الفاصلة بل قد تأتي مغايرة عن غيرها وهذا دليل على أنّ المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى .

**فهرسة البحث :**

[1] – تحدث د . محمد خطابي عن المناسبة في كتابه ( لسانيات النّص) . وسلك طريقه د . صبحي إبراهيم الفقي وجعلها هذا الأخير فصلاً من فصول ( الاتساق المُعجمي النَّصي ) خلافاً للباحثين النّصيين ، مع أننا لم نجد غيرهما تحدث عن المناسبة من المحدثين فيما نعلم . ينظر : لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب ) : 193 ، وعلم اللغة النصي بين النظريَّة والتطبيق :2/ 83 – 93 .

[2] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 36 ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : 3/ 371 .

[3] – البرهان في علوم القرآن :1/ 36 ، وينظر : تفسير الفخر الرازي :1/ 18 ، وعلم اللغة النصي بين النظريَّة والتطبيق : 2/ 88 .

[4] – منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 153 .

[5] – ينظر : كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : 59 .

[6] – المصدر نفسه : 160 .

[7] – البديع فى نقد الشعر ، أسامة بن منقذ : 163.

[8] – أسرار البلاغة : 3.

[9] – نظرية السياق القرآني " دراسة تأصيلية دلالية نقدية " : 38 .

[10] – علم اللغة النصي : 93/2 .

[11] – ينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المَصرى **363/2** .

[12] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 2/ 473 .

13 – ينظر : التحرير والتنوير : 8/ 72 . [14]– تحرير التحبير : 3/ 363 – 368 .

[15] – علم اللغة النصي : 2/ 101 .

[16] – ينظر : البرهان فى علوم القرآن : 1/ 37 .

[17] – المصدر نفسه : 1/ 38 .

[18] – نمط المرجعية هنا متبادلة ؛ فالعنوان يرجع مرجعية لاحقة إلى مضمون السُّورة ، ومضمون السّورة يرجع مرجعية سابقة إلى عنوانها . وكلتاهما مرجعية داخلية . وفي هذا براز لقوة التماسك بين اسم السُّورة ومضمونها ، وكذا المناسبات الأخرى . ينظر : علم اللغة النّصي بين النظريَّة والتطبيق ( الهامش 1) : 2/ 105 ، والمُناسبةفي القرآن ( دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسّياق اللغوي) : 37 ، وتناسق الدرر في تناسب السور : 66 ، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن ، عبد الله بن محمد الغماري الحسني : 16 .

[19] – بلاغة الخطاب وعلم النّص : 247.

[20] – ينظر : البرهان فى علوم القرآن : 38/1 ، والمُناسبةفي القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسّياق اللغوي ) : 37 .

[21] – نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور : 1/ 32 .

[22] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 38 .

[23] – ينظر : المصدر نفسه : 1/ 37 ، والإتقان في علوم القرآن : 1/ 35 .

[24] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 36 .

[25] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 35 – 37 .

[26] – المصدر نفسه : 1/ 40 .

[27] – إعراب القرآن وبيانه :1/ 385 ، وينظر : الكشاف : 301/1 ،والانتصاف فيما تضمّنه الكشّاف : 1/ 302 .

28 – ينظر : المصدر نفسه : 1/ 47 .

[29] – ينظر : البرهان في علوم القرآن : 1/ 47 – 48 .

[30] – البحر المحيط : 2/ 250 .

[31] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 49 .

[32] – ينظر : من أسرار البيان القرآني : 115 .

[33] – ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي : 192 .

34 – تفسير القرآن الحكيم ( تفسير المنار ) : 10 / 132 .

[35] – في ظلال القرآن : 3/ 1566 .

[36] – البحر المحيط : 4 / 157 .

[37] – المصدر نفسه : 4 / 424 ، وينظر : روح المعاني : 3/ 222 .

[38] – تفسير الشعراوي ( الخواطر ) : 5/ 2887 .

[39] – تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القُمي : 1/ 130 .

[40] – إعراب القرآن وبيانه :2 /396 ، وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 2/ 142 .

[41] – تفسير الفخر الرازي : 11/ 275 .

[42] – في ظلال القرآن : 1/ 323 .

[43] – ينظر : المُناسبةفي القرآن ( دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسّياق اللغوي ) : 42 .

[44] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 53 .

[45] – ينظر: المصدر نفسه:1/ 53 ، والإتقان في علوم القرآن: 2/ 96 ، وإعجاز القرآن للشافعي : 86.

[46] – ينظر : التماسك النصي في سورة لقمان ( دراسة تطبيقية ) د. ليلى يوسف حميد : 87 .

[47] – البرهان في علوم القرآن :1/ 78 .

[48] – ينظر : التحرير والتحبير : 1/ 225 .

[49] – المناسبة في القرآن ( دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوى ) : 256 .

[50] – لمزيد من التفصيل . ينظر : تحرير التحبير :1/ 225 ، والإتقان في علوم القرآن : 2/ 74 .

[51] – البيان فى روائع القرآن : 1/ 195– 196.

[52] – في صدد مسألة المعنى والفاصلة فهناك ثلاثة أقوال :

أ – ثمة من يرى أنّ العدول لرعاية الفاصلة ، ويمثلان هذا الرأي هما : ابن الأثير والزركشي ، ينظر : المثل السائر : 2/ 212 ، والبرهان في علوم القرآن : 3/ 175 .

ب – هناك من يرى العكس أي مراعاة المعنى بدليل تغيير الفاصلة إذا استحق المعنى ، ويمثل هذا الرأي كل من الزمخشري والفخر الرازي والبقاعي ، ينظر : الكشاف : 1/ 56 ، وتفسير الفخر الرازي : 15/ 62 ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 6/ 188 .

ج – وهناك من يرى التوسط بين القولين فيقول برعاية الفاصلة والمعنى ، وهذا رأي الدكتور تمّام حسّان ، ينظر : البيان في روائع القرآن : 1/ 190 .

[53] – معترك الأقران في إعجاز القرآن : 33/1 – 34 .

[54] – تفسير الفخر الرازي : 13/ 181 .

[55] – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : 8 / 174 .

[56] – ينظر : تفسير أبي السّعود : 1/ 45 .

[57] – إعراب القرآن وبيانه : 1/ 36 .

[58] – روح المعاني : 1/ 158 .

[59] – معاني النحو : 1/ 58 – 59 .

[60] – فتح القدير :1/ 620، وينظر: من أسرار النظم القرآني: 48 ، وإعراب القرآن للنحاس :1/ 154.

[61] – ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( تفسير المنار ) : 3 / 241 .

[62] – الكشاف : 1/ 535 .

[63] – الانتصاف فيما تضمنه الكشاف : 1/ 535 .

[64] – من أسرار النظم القرآني : 100 .

[65] – ينظر : المصدر نفسه : 69 ، وابنُ القيم وحسُّه البلاغي في تفسير القرآن : 93 .

[66] – ينظر : معانى القرآن للأخفش : 337/1 ، وإعراب القرآن ومعانيه للزجاج : 1/ 143 .

[67] – البحر المحيط : 5/ 71 .

[68] – التعبير القرآني : 50 .

[69] – التحرير والتنوير : 9 / 207 – 209 .

[70] – البرهان في علوم القرآن : 1/ 122 – 123 .

[71] – ينظر : البرهان في علوم القرآن : 1/ 122 ، ومن أسرار النظم القرآني : 101 .

[72] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور : 7 /145 .

[73] – تفسير الشعراوي " الخواطر " : 5/ 3131 .

[74] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور : 38/9.

[75] – التبيان في تفسير القرآن : 11/2 ، وينظر : البحث الدّلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن الحسن الطوسي : 258.

[76] – ينظر : البحث الدّلالي في التبيان : 258 .

[77] – الفروق اللغوية : 19 .

[78] – التعبير القرآني : 51 ، وينظر : أسرار البيان في التعبير القرآني : 18 .

[79] – البرهان في علوم القرآن : 3/ 248 ، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : 2/ 36 .

[80] – التحرير والتنوير : 3 / 183 ، وينظر: إعراب القرآن وبيانه : 1/ 470 .

[81] – البرهان في علوم القرآن : 3/ 249 ، وينظر : أسرار البيان في التعبير القرآني : 20 .

82 – ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3/ 52 ، والاتقان في علوم القرآن : 2/ 14 .

[83] – التعبير القرآني :52 ، وينظر : أسرار البيان في التعبير القرآني : 17 .

[84] – تفسير الفخر الرازي : 10/ 133 .

[85] – البرهان في علوم القرآن : 251/3– 252 ، وينظر : بدائع الفوائد : 1/ 115 ، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : 2/ 36 .

[86] – ينظر : بدائع الفوائد : 1/ 113 – 115 .

[87] – التعبير القرآني : 55 ، وينظر : بدائع الفوائد : 1/ 115، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : 36/2 ، وأسرار البيان في التعبير القرآني : 20 .

[88] – بدائع الفوائد: 80/1 ، وينظر: البحر المحيط: 230/3 ،وابنُ القيم وحسنُه البلاغي في تفسير القرآن : 117 .

[89] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 1/ 417 .

[90] – البحر المحيط : 3 / 231 .

[91] – ينظر : المصدر نفسه : 3 / 232 ، وروح المعاني : 33/3 – 34 .

[92] – ينظر : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف : 631/1 ، وأسرار البيان في التعبير القرآني : 21 .

[93] – ينظر : التعبير القرآني : 51 .

[94] – ينظر : التحرير والتنوير : 2/ 388 .

[95] – ينظر : من أسرار النظم القرآني : 13 .

[96] – البرهان في علوم القرآن : 4/ 24 .

[97] – ينظر : التحرير والتنوير : 2/ 388 .

[98] – ينظر : أحكام القرآن ، الشافعي مع هامش ( 5 ) : 1/ 242 ، ومن أسرار النظم القرآني : 13.

[99] – التحرير والتنوير: 2/ 391 ، وينظر : أحكام القرآن ، اسماعيل بن ادريس الشافعي : 1/ 242 .

[100] – من أسرار النظم القرآني : 14 .

[101] – ينظر : البرهان في علوم القرآن : 2/ 426 .

[102] – ينظر: الكشاف: 2/ 217 ، والبرهان في علوم القرآن : 2/ 426 ، والتحرير والتنوير : 7/ 213 ، وإعراب القرآن وبيانه : 3/ 105 ، و من أسرار النظم القرآني : 79 .

[103] – التعبير القرآني : 251 .

**المصادر والمراجع :**

**القران الكريم :**

❖ ابن القيم وحسُّه البلاغي في تفسير القرآن ، د . عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى /1402 هـ – 1982 م .

❖ الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر محمد السيوطي (ت 911هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الحسني ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى /1387هـ – 1967م .

❖ أحكام القرآن ، إسماعيل بن ادريس الشافعي (ت 204هـ)، كتب هوامشه : عبدالغني عبد الخالق قدم له: محمد زاهد الكوثري ، منشورات مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الثانية / 1414هـ – 1994م .

❖ أسرار البيان في التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، منشورات دار المؤتمر ، الشارقة / 2002 م .

❖ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، د . مصطفى صادق الرافعي ، ضبطه وصححه وحقق أصوله محمد سعيد العريان ، مطبعة الإستقامة ، الطبعة الرابعة / 1359هـ – 1940م .

❖ إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ( ت 338هـ ) تحقيق د . زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية / 1405 هـ – 1985م .

❖ إعراب القرآن المنسوب للزجاج ، تحقيق ودراسة : إبراهيم الأبياري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة / 1963م .

❖ إعراب القرآن وبيانه ، مُحيي الدين الدرويش ، دار اليمامة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة السابعة /1420هـ – 1999م .

❖ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، أحمد بن المُنير الإسكندري (ت 683هـ) ، مطبوع على حاشية الكشاف ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة / 1407هـ – 1987م .

❖ البحر المحيط ، تفسير أبي حيان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي (ت 745هـ) ، مطبعة دار الفكر ، المغرب ، الطبعة الأولى / 1398هـ – 1978م .

❖ بدائع الفوائد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت 751هـ ) ، تحقيق : علي بن محمد العمران ، منشورات دار عالم الفوائد ، القاهرة – مصر ( د – ت ) .

❖ البديع فى نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ( ت 584هـ) ، تحقيق : د . أحمد بدوي ، د . حامد عبدالمجيد ،

راجعه : إبراهيم مصطفى ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة / 1960م .

❖ البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى/ 1408هـ - 1988م .

❖ بلاغة الخطاب وعلم النّص ، د . صلاح فضل ، مؤسسة مختار ، مصر ، الطبعة الأولى/ 1416هـ - 1996م .

❖ البيان في روائع القرآن ، د .تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية /1420هـ - 2000م .

❖ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ ) ، تحقيق : د . حنفي محمد شرف ، القاهرة / 1383هـ - 1963م .

❖ التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ) ، دار التونسية للنشر ، تونس ، الطبعة الأولى / 1984م .

❖ التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، مطبعة بيت دار الحكمة ، بغداد / 1986م .

❖ تفسير أبي السعود المسمى بـ ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ) ، محمد بن محمد العمادي ( ت 951هـ ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ( د - ت ) .

❖ تفسير الشعراوي ( الخواطر ) ، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ) منشورات مطابع أخبار اليوم ، القاهرة / 1997 م .

❖ تفسير الفخر الرازي ، المعروف بـ ( التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ) ، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن الحسين التميمي الرازي (ت606هـ ) منشورات دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة / 1405 هـ - 1985 م .

❖ تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ ( تفسير المنار ) محمد رشيد رضا ( ت 1865هـ ) منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى /1420هـ - 1999م .

❖ تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القُمي ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم - إيران ، الطبعة الثالثة ( د - ت ) .

❖ تناسق الدُّرر في تناسب السُّور ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) دراسة وتحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى / 1406هـ - 1986م .

❖ جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني (ت 1413هـ ) مكتبة القاهرة للنشر ، مصر ( د - ت ) .

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت1270هـ) ، صححه وعلَّق عليه : السيد محمود شكري الآلوسي ، دار الفكر ، بيروت / 1398هـ - 1978م .

❖ الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يَحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليَمني

(ت 750هـ ) ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت – الطبعة الأولى / 1423هـ - 2002 م

❖ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ) صححه أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ( د – ت ) .

❖ الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري ( ت 395هـ ) ضبطه وحققه : حسام الدين القدسي / دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة / 1426هـ - 2005 م .

❖ كتاب الصناعتين ، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري ( ت 395هـ ) منشورات المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان / 1406 هـ – 1986 م .

❖ الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) رتّبه وضبطه : محمد عبدالسلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان / 1995م.

❖ لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي ، (ت 711هـ) دار ليبيا – بيروت / 1386هـ - 1966م .

❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي الغرناطي (ت 546هـ) تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى / 1993 م .

❖ معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لأبي الفضل جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي (ت 911هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان – الطبعة الأولى / 1408هـ .

❖ من أسرار النظم القرآني ، د . محمد عبدإله سعادة ، منشورات مكتبة مبارك العامة ، القاهرة – مصر ( د – ت ) .

❖ المُناسبة في القرآن ( دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسّياق اللغوي ) ، د. مصطفى شعبان عبدالحميد ، المكتبة الإسكندرية ، القاهرة – مصر / 2007

❖ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم بن أبي عبد الله القرطاجني (ت 684هـ) ، تحقيق : د . محمد الحبيب بن الخوخة ، المطبعة الرسمية ، تونس/ 1966م .

❖ نظم الدّرر في تناسب الآيات والسُّور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ) ، تحقيق : محمد عبدالمُعين ، مطبعة مجلس المعارف الإسلامية ، حيدر آباد الدكن – الهند ، الطبعة الثانية /1995 م .

**الرسائل والأطاريح الجامعية :**

❖ البحث الدّلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن الحسن الطوسي "اطروحة دكتوراه " ابتهال كاصد ياسر الزبيدي ، كلية التربية للبنات - بغداد / 2003 م .

❖ التماسك النصي في سورة لقمان ( دراسة تطبيقية ) د. ليلى يوسف حميد ، جامعة صنعاء ، قسم اللغة العربية ، اليمن / 1427هـ – 2008م .

Abstract

The occasion plays a fundamental role in determining the intended meaning of any lexical item , expression or phrase . Being fully aware of the context in which the text is used , the text analyst can predict the intended meaning of the text in question . Any text characterized by cohesion and coherence can be interpreted by relying on certain verbal and non - verbal elements . To understand a text depends , to a certain degree , on its connectivity and coherence . In this research , special attention will be paid to the role of the occasion in hanging the text together as a cohesive and coherent text . this is because in order to understand what is meant by any verse, one has to look into every single sentence and clause and fall back on its context

In the Quranic discourse, it has been taken into consideration the differences between the text receivers in terms of comprehending and interpreting the text, therefore,adequate consideration has been given to certain elements that would determine the reason , aim , and the like behind each verse . It has been shown that being fully aware of the occasion would help in interpreting the Quranic context as they are so related to each other . The pauses indicated by special numbered commas used in the holy Quran, for their parts, are employed for the sake of meaning, rather than to marking off letters